doi.org/10.52866/esj.2020.08.16.05

الترجيح بين ما يحتمله «معنى المعنى» عند المفسرين (قرينة الأبلغ) إنموذجاً

أ. م. د. ماجد ياسين حميد
الجامعة العراقية / كلية التربية

المستخلص ..

حَظِيَت البَلَاغةُ بنصيبٍ كبيرٍ من اهتمام المفسرين، وظَهَرَ دورُهَا جلياً في بيانِ القِيْمَةِ الجَمَاليةِ للنَّظْمِ القُرْآنِي وإعجَازِه، لذلك اعتَنَى كثيرٌ من المُفَسِّرين بالقَرَائنِ البلاغِيَّة، فيجدُ القارئُ في كتبِ التفسيرِ وحواشِيه التي اعتنى أصحابُها بعلومِ اللغةِ عموماً وبعلمِ البلاغةِ خصوصاً أنَّ للبلاغةِ أيضاً دوراً كبيراً عندهم في الترجيحِ بين المعاني والأفهام، وهذا البحثُ يتناولُ جانباً مهمًّا من جوانبِ الترجيحِ بالقرائن البلاغية، وهو الترجيحُ بها في معنى المعنى، أو في المعاني الثواني، فيُبيِّنُ المرادَ بالمعنى ومعنى المعنى، أو بالمعاني الثواني، في اصطلاحِ علماءِ البلاغةِ، ويقرنُ ذلك بأمثلةٍ تطبيقيَّةٍ مأخوذةٍ من ثلاثةٍ من أهمِّ كتب التفسير وحواشيه، وهي فتوحُ الغيبِ، وروحُ المعاني، والتحريرُ والتنويرُ، ويُبيِّنُ أنواعَ الجُمَلِ التي يُرجَّحُ فيها بالبلاغةِ، ويوضِحُ المعنى الذي يَنْبَنِي على هذا التَّرْجِيح.

الكلماتُ المفتاحية: الترجيح، البلاغة، معنى المعنى.

The weighting between what the "meaning of the meaning" may bear among the commentators (The most eloquent presumption) as model

Assis. Prof. Dr. majed yasen hamed
Iraqi University / College of Education

Abstract :

Had the rhetoric a large share of the attention of the commentators, and the back of its role is clear in the statement of the aesthetic value of the systems of the Qur'an and likeness, so I took care of many of the commentators presumptions rhetoric, finds the reader in the books of interpretation and footnotes that took care of their owners science in general language and knowledge of rhetoric, especially also the eloquence of a great role they have in the shootout Between meanings and understandings, This research deals with an important aspect of weighting with rhetorical clues, which is the weighting of it in the meaning of the meaning, or in the meanings of the seconds, showing what is meant by the meaning and the meaning of the meaning, or with the meanings of the seconds, in the terminology of the rhetoric scholars, and it combines that with practical examples taken from three books of the most important tafsir, It is the opening of the unseen, the spirit of meanings, liberation and enlightenment, and it shows the types of sentences in which rhetoric is preferred, and clarifies the meaning that is based on this weighting.

Key words: weighting, rhetoric, meaning of meaning .

أولاً: مقدمةٌ:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأفضلُ الصَّلاةِ، وأتمُّ التسليم، على نبيِّنا وسيِّدنا محمَّدٍ، وعلى آلِه وصحبه أجمعين، أمَّا بعدُ:

شكلت البلاغة ركناً أساساً في إيضاح معاني القرآن الكريم، وبيان مدلولاتها، فعكف كثير من المفسرين على الاهتمام بهذه الناحية اللغوية بغية إيضاح المعاني وإظهار محاسنها، ولقد ظهر في ميدان التفسير كثير من المفسرين الذين أولوا النواحي البلاغية جل الاهتمام في عملية التفسير، فصار علم البلاغة أحد أهم أعمدة تفسير القرآن الكريم في عصور متعددة، وأثناء مطالعة هذه التفاسير تتضح كثرة القرائن البلاغية - المبثوثة ضمن علوم البيان والمعاني والبديع - التي حدد المفسرون المعاني الدقيقة والمرادة من النصوص بناءً عليها، وإن من أدقّ هذه القرائن المفيدة في الترجيح قرينة معنى المعنى أو المعاني الثواني كما سيأتي بيانها في هذا البحث إن شاء الله.

ثانياً: أهمِّيةُ البحثِ:

تأتي أهمِّيَّةُ هذا البحثِ من حيثُ كونُهُ يدرسُ إحدى قواعدِ الترجيحِ اللغويَّةِ المهمَّةِ عند المفسِّرين، ويؤكِّدُ على دورِ إتقانِ علومِ البلاغةِ في فهمِ النصِّ القرآنيِّ حقَّ الفهمِ في وقتٍ كثُرَ فيه مُدَّعو القدرةِ على فهمِ الآياتِ من خلالِ الوقوفِ على الظواهرِ فقط، دونَ أن يكونَ لهم نصيبٌ من علومِ اللغةِ التي هي مقاييسُ فهمِ النصوصِ، فضلاً عن أن يكونوا من أصحابِ الذوقِ البلاغيِّ الذي يُدركُ به وجوهُ التفسيرِ اللائقةُ بالنظمِ المعجزِ.

ثالثاً: مشكلة البحث:

تتضح مشكلة البحث بالتساؤلات التالية: إذا كانَ للجُملةِ معنىً أوَّل ظاهرٌ، ومعنىً ثانٍ مقصودٌ، وأمكنَ الوصولُ إلى المعنى الثاني بأكثرَ من أسلوبٍ، فهل يكتفي المفسِّرُ بذكرِ هذه الأساليبِ المحتمِلةِ، أم يُرجِّحُ بينها، وإذا كانَ يُرجِّحُ، فما هو معيارُ الترجيحِ، وعلامَ يدلُّ ذلك؟

رابعاً: الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة تخصصية مستقلة حوت فكرة هذا البحث، مع أن أفكاره عامة منثورة في كتب التفسير التي اهتمت بالجانب اللغوي البلاغي.

خامساً: صعوبات البحث:

لم أواجه في البحث صعوبة تُذكر سوى طول الاستقراء للخروج ببعض النماذج التي تندرج ضمن القاعدة البلاغية وتختص بالقرينة البلاغية التي يدور البحث حولها.

سادساً: خطَّةُ البحث:

قسمتُ البحثَ إلى مبحثين:

المبحثُ الأوَّلُ: المفاهيم والتعريفات العامة (القرينة والترجيح والبلاغة ومعنى المعنى).

المبحثُ الثاني: القسمُ التطبيقيُّ: ويتضمَّنُ أربعةَ أمثلةٍ تطبيقيَّةٍ للترجيحِ بالبلاغةِ في الجُمَلِ التي لها معانٍ أُوَلُ ومعانٍ ثوانٍ.

سابعاً: منهجُ البحث:

يقومُ منهجُ البحث على ثلاثِ دعائم:

1. **الاستقراء:**

وذلك من خلالِ الاستقراءِ الجزئيِّ لثلاثةٍ من كتب التفسيرِ وحواشيه، وهي: فتوح الغيب للطِّيبيِّ (743هـ)، وروح المعاني للآلوسيِّ (1270هـ)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (1393هـ)؛ للوقوفِ على الأمثلةِ التطبيقيَّة للترجيح في معنى المعنى.

وإنَّما اخترتُ هذه الكُتُبَ الثلاثةَ؛ لأنَّها من أهمِّ الكُتُبِ التي كانَ لأصحابها عنايةٌ بالغةٌ بعلومِ اللغةِ عموماً، وبعلمِ البلاغةِ خصوصاً؛ ولما فيها من المزج

بين القديم (فتوح الغيب وروح المعاني) والمعاصر (التحرير والتنوير) وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ الذوقَ البلاغيَّ لم يكن حصراً على فترةٍ زمنيَّةٍ معيَّنةٍ، وأنَّ هذا القرآنَ المعجزَ منهَلٌ للعقولِ والأفهامِ والأذواقِ إلى قيامِ السَّاعةِ.

وبعدَ الاستقراءِ قمتُ باختيارِ أربعةِ نماذجَ تطبيقيَّةٍ؛ لتوضيحِ فكرةِ البحثِ، ولم أذكر جميعَ الأمثلةِ التي وقفتُ عليها بالاستقراءِ؛ لضيقِ مجالِ البحثِ عن الإكثارِ، وقد كانَ المعيارُ في الاختيارِ قوَّةَ المثالِ ووضوحَ دلالتِه على المقصودِ.

2 . **التحليل:**

وذلك من خلالِ تحليلِ كلامِ المفسِّرين وأصحابِ الحواشي في الأمثلةِ التطبيقيَّةِ؛ لتوضيحِ مقاصدِهم، وبيانِ المرادِ من المصطلحاتِ البلاغيَّةِ التي تعرَّضوا لها.

3 . **المقارنة:**

وذلك من خلالِ ذكرِ اختلافِ العلماءِ – إن وُجدَ– في الأساليبِ التي يُتوصَّلُ بها إلى المعاني الثواني التي تدلُّ عليها الآياتُ، وتوجيهِ كلامِهم، ثمَّ ذكرِ القولِ الراجحِ، وبيانِ سببِ الرُّجحانِ.

وإني لا أدعي في هذا البحث الكمال، وحسبي في أني بذلت جهدي، فما كان منه صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء.

المبحثُ الأوَّل
المفاهيم والتعريفات العامة (القرينة والترجيح والبلاغة ومعنى المعنى):

المطلب الأول: مَفْهَومُ القَرينةِ.

تَنْقَسِم القَرِيْنَة إلى عِدَّةِ أَقْسَام: لَفْظِيَّةٍ وعَقْلِيَّةٍ وحَالِيَّة.

أمَّا **القرينةُ اللفظيةُ** فَهِي كلُّ مادةٍ لفظيةٍ منطوقٌ بها تكونُ مُصَاحِبة للنَّص، فتُؤَثِّر فِيه دلالةً أو ثُبُوتاً أو تَرْجيحاً، وأمَّا **القرينةُ العقليةُ** فهي ما كانَ إفضاؤُهَا إلى المدلولِ بواسطةِ العقلِ بما أُودِعَ فيه من مَعَايير وَمَوازِين فِطْرِية، كمن قال «رأيتُ الناسَ»، فإن القَرِينَةَ العقليةَ تُوجِبُ أنه لم يَرَ الناسَ كلهم؛ لأنه يستحيلُ بحكمِ العقلِ أن يكون قد رأى جميعَ الناسِ، وإنَّما الذي رآه هو بعضَ الناسِ فقط، وقد تكونُ **القرينةُ حاليةً**، وهي إمَارةٌ ظَاهرةٌ تقارنُ شيئاً فتدلُّ عليه.[1]

وهذا التَّقْسيم وهذه المعانِي يُفهمان أيضاً مما أَشارَ إليه الإمام الغزالي؛ حيث قسّمها التقسيم السابق، وضرب للقرينة اللفظية مثالاً قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: 141]، والحقُّ هو العُشْر، وضرب للعقلية مثالاً: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: 67]، فَظَاهِر مِن الآية عَقْلاً أَنَّ القَبْضَة واليَمِين لَيسَتَا على حَقِيقَتِهِمَا التي تَعْقِلُها البَشَر.[2]

المطلب الثاني: تعريفُ الترجيحِ عند المفسِّرين:

عَرَّفَ الزركشيُّ (794هـ) الترجيحَ عند الأصوليِّين بقولِه: «بيانُ اختصاصِ الدَّليلِ بمزيدِ قوَّةٍ عن مقابِلِه؛ ليُعمَلَ بالأقوى»[3].

وقد ذكرَ الأصوليُّونَ أنَّ الترجيحَ إنَّما يكونُ بعدَ

(1) انظر: الكيلاني عبد الرحمن، القرينة الحالية وأثرها في تبيُّن الحكم الشرعي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد الأول، المجلد الثالث، ط1، 2007، ص 89.

(2) الغزالي محمد بن محمد، المستصفى، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1989م، ج1، ص342.

(3) الزركشي محمد بن عبد الله بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، الطبعة الأولى، 1994م، ج8، ص145.

التعارضِ وعدمِ إمكانيَّةِ الجمعِ، وذكروا كذلك أنَّهُ يجري بين ظنيٍّ وظنيٍّ فقط؛ لأنَّ الظنِّياتِ تتفاوتُ في القوَّةِ، فيمكنُ إثباتُ الزِّيادةِ لأحدِها على الآخَرِ، ولا يُتصوَّرُ ذلك بين القطعيَّين؛ لأنَّهُ لا تفاوتَ بينهما في القوَّةِ، ولا بين قطعيٍّ وظنيٍّ؛ لأنَّ القطعَ مُقدَّمٌ دائماً على الظنِّ[1].

أمَّا المفسِّر فهو يُرجِّح بين الأقوالِ التي تحتملُها الآيةُ، لا بينَ الأدلَّةِ الشرعيَّةِ بنحوٍ مُباشرٍ، وهذه الأقوالُ ظنِّيةٌ في الكثيرِ الغالب، ولا يُشترطُ فيها أن تكونَ مُتعارِضةً، لا يمكنُ الجمعُ بينها؛ بل يمكنُ أن يُجمعَ بينها أحياناً؛ فإنَّ اختلافَ المفسِّرين قد يكونُ من بابِ اختلافِ التنوُّعِ، لا من بابِ اختلافِ التضادِّ. وكذلك لا يجبُ دائماً تركُ المرجوحِ، بل يمكنُ أحياناً حملُ الآيةِ على كلا القولين: الراجحِ، والمرجوحِ، وإن كانَ أحدُهما أقوى من الآخَرِ.

ولذلك كانَ لابدَّ من ذكرِ تعريفٍ خاصٍّ للترجيحِ عند المفسِّرين، ويمكنُ من خلالِ الاعتمادِ على ما ذكرَهُ الزركشيُّ أن يُعرَّفَ بأنَّهُ: بيانُ اختصاصِ الوجهِ التفسيريِّ بمزيدِ قوَّةٍ عن مقابلِه.

وعَرَّفَهُ بعضُ المعاصرين بأنَّهُ: «تقويةُ أحدِ الأقوالِ في تفسيرِ الآيةِ؛ لدليلٍ أو قاعدةٍ تُقوِّيهِ، أو لتضعيفِ أو ردِّ سواهُ»[2].

المطلب الثالث: تعريفُ البلاغةِ:

يرى القزوينيُّ (745هـ) أنَّ البلاغةَ مطابقةُ الكلام لمقتضى الحالِ مع كونه فصيحاً، ويختلف مقتضى الحال باختلاف مقام الكلام[3]، ويقصِدُ البلاغيُّون بالحالِ الأمرَ الداعيَ إلى التكلُّم على وجهٍ مخصوصٍ، أي إلى أن يُعتبرَ مع الكلامِ الذي يُؤدَّى به أصلُ المعنى خصوصيةٌ ما، وهذه الخصوصيةُ هي مقتضى الحال، ومعنى مطابقةِ الكلامِ لمقتضى الحالِ اشتمالُهُ على هذه الخصوصيَّةِ، مثلاً: كونُ المخاطَب مُنكراً للحُكْم حالٌ يقتضي تأكيدَهُ، والتأكيدُ مقتضى الحالِ، وقولُكَ له: إنَّ زيداً في الدارِ مؤكِّداً بـ (إنَّ) كلامٌ مطابقٌ لمقتضى الحالِ؛ لاشتمالِهِ على التأكيدِ[4]. والفصاحةُ قسمان: فصاحةُ المفرد، وهي خُلُوصُه من تنافُرِ الحروفِ، والغرابةِ، ومخالفةِ القياسِ اللُّغويِّ[5]، وفصاحةُ الكلام، وهي خُلوصُهُ من ضَعْفِ التأليف، وتنافرِ الكلمات، والتعقيدِ، مع فصاحتِها[6].

المطلب الرابع: تعريف المعنى ومعنى المعنى:

أمّا المعنى ومعنى المعنى فقد بَيّنَهُمَا عبدُ القاهرِ الجُرجانيُّ (471هـ) بأنَّ المعنى هو الوَاضِحُ المفهومَ من ظاهرِ اللفظِ، وبالإمكانِ الوصولُ إليهِ بغيرِ واسطة، و(معنى المعنى): هو أن نعقل من اللفظ معنى فيُفضِي بنا هذا المعنى إلى مَعنى آخر[7].

وبيانُ ذلك أنَّ الكلامَ على ضربين:

ضربٌ يُوصلُ منهُ إلى الغرضِ بدلالةِ اللفظِ وحدَهُ، كقولِك إذا قصدتَ أن تُخبرَ عن زيدٍ مثلاً

---

(1) انظر: السمعاني منصور بن محمد، قواطع الأدلة في الأصول، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، 1999م، ج1، ص404، والغزالي محمد بن محمد، المستصفى، ج1، ص375، والرازي محمد بن عمر، المحصول، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1997م، ج5، ص399.

(2) الحربي حسين بن علي، قواعد الترجيح عند المفسِّرين دراسة نظرية تطبيقية، دار القاسم بالرياضِ، الطبعة الأولى، 1996م، ص34.

(3) انظر: القزويني محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية ببيروت د/ ط.ت، ص 11.

(4) انظر: التفتازاني مسعود بن عمر، شرح تلخيص المفتاح، دار السرور ببيروت، د/ ط.ت، ج1، ص 123 – 124.

(5) انظر: القزويني محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، ص5 – 7.

(6) انظر: المرجع السابق. ص7 – 10.

(7) انظر: الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د/ ط.ت، ص263.

بالخروجِ على الحقيقةِ: خرجَ زيدٌ[1].

وضربٌ لا يمكن أن يُوصَل من معناه الظاهر إلى الغَرَض المقصود، إنَّما يَكُون المعنى الظاهر منه وسيلةً للوصول إلَى المعنى المُرَاد والغَرَضِ المقصود، ويَنْدَرِجُ هذا النَّوع مِنَ الكلام ضِمنَ الكنايةِ، والاسْتِعَارَة، والتَّمثِيلِ، ومثالُهُ قولنا: فلان كثيرُ رمادِ القِدْرِ، فإننا لا نَعْنِي بِهِ المعنى الظاهرِ من الكَلام، لكن هذا اللَّفْظ يعطينا معنى ظاهراً يُفِيدُنا المعنى المقصودَ وهو أنه كريمٌ على ضُيُوفِهِ[2].

ويؤخذُ من ذلك أنَّ مدارَ معنى المعنى على مباحثِ علمِ البيانِ، وأنَّهُ لا يكونُ في مباحثِ علم المعاني، ولا في مباحثِ علمِ البديعِ.

والمعاني الثواني هي أساسُ جمالِ الكلامِ، وإليها ترجعُ الفضيلةُ والمزيَّةُ، ولذلك ذكرَ البلاغيُّون أنَّ المجازَ أبلغُ من الحقيقةِ، وأنَّ الاستعارةَ أبلغُ من التصريحِ بالتشبيهِ، وأنَّ التمثيلَ على سبيلِ الاستعارة أبلغُ من التمثيلِ لا على سبيلِ الاستعارة، وأنَّ الكنايةَ أبلغُ من الإفصاحِ[3]، وتفسيرُ هذا لا يعني أنَّك لمَّا كنيتَ عن المعنى، زدتَ في ذاتِه، إنَّما زدتَ في إثباتِه، فصار أكثرَ بلاغةً وفصاحةً، فقولُك: كثيرُ الرمادِ لا يدلُّ على قِرىً أكثرَ من قولِك: هو كثيرُ القِرى، بل المعنى أنَّك أثبتَّ لهُ القِرى الكثيرَ من وجهٍ أبلغَ وأكثر شدَّةً[4].

وإنما كانت الأساليب سالفة الذكر أفصح لأنَّ دلالة هذه الأساليب على معانيها إنما تكون بالقرائن لا بظاهر الكلام، والدلالة باللازم أكثر بلاغاً وأبين معنى، وأكثر تمكناً في نفس السامع.[5]

وليست مزيَّةُ هذه الفنونِ البلاغيَّةِ على الكلامِ المتروكِ على ظاهرِه في أنفُسِ المعاني التي يقصدُ إليها المتكلِّمُ، ولكنَّها في طريقِ إثباتِه لها وتقريرِه إيَّاها[6].

وكذلك ليست مزيَّةُ قولِك: رأيتُ أسَداً على قولِك: رأيتُ رَجُلاً لا يتميَّزُ عن الأسدِ في الشَّجاعةِ والجرأةِ، أنَّك قد أفدتَ بالأوَّلِ زيادةً في مُساواتِه بالأسدِ، بل المزيَّةُ أنَّك قد أفدتَ تأكيداً وقُوَّةً في إثباتِك لهُ هذه المساواةَ. فليس تأثيرُ الاستعارة في ذاتِ المعنى وحقيقتِه، بل في إيجابِه والحُكمِ به[7].

وإذا تبيَّنَ هذا، فالمرادُ بالترجيحِ بالبلاغةِ اختيارُ الأنسبِ لبلاغةِ القرآنِ وإعجازِه، أي أنَّ البلاغةَ تصبحُ معياراً من معاييرِ ترجيحِ قولٍ على قولٍ. والمرادُ بالترجيحِ في معنى المعنى أنَّ الترجيحَ لا يكونُ في الجُملِ التي لها معانٍ أُوَلُ فقط، وإنَّما يكونُ في الجملِ التي لها معانٍ أُوَلُ ومعانٍ ثوانٍ، ووظيفةُ البلاغةِ هي تحديدُ الأسلوبِ الأبلغِ للوصولِ إلى المعاني الثواني.

أي أنَّهُ إذا كانَ للجُملةِ معنىً ثانٍ، واختُلفَ في الكيفيَّةِ أو الأسلوبِ الذي يُتوصَّلُ به إلى هذا المعنى، فإنَّ المفسِّرَ يختارُ الأسلوبَ الأبلغَ الذي يجعلُ ثبوتَ المعنى الثاني أشدَّ وآكدَ.

ومن ذلك يؤخذُ أنَّ الترجيحَ لا يكونُ بينَ وجهٍ مقبولٍ ووجهٍ مردودٍ، بل يكونُ بينَ وجهٍ بليغٍ ووجهٍ أبلغَ منهُ، وبيانُ ذلك بالأمثلةِ التطبيقيَّةِ في القسمِ الآتي.

(1) انظر: المرجع السابق، ص262.
(2) انظر: الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ص263.
(3) انظر: المرجع السابق، ص70، والقزويني محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، ص340.
(4) انظر: الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ص71.
(5) انظر: العلويُّ يحيى بن حمزة، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية ببيروت، الطبعة الأولى، 1423 هـ، ج1، ص156.
(6) انظر: الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ص71.
(7) انظر: المرجع السابق الصفحة نفسها.

المبحثُ الثاني
القسمُ التطبيقيُّ

تقدَّمَ أنَّ مدارَ ما يُسمَّى بمعنى المعنى على مباحثِ علمِ البيانِ: الاستعارةُ، والتمثيلُ، والكنايةُ، وهذه المباحثُ طُرُقٌ أو أساليبُ للوصولِ إلى المعاني الثواني، وهي متفاوتةٌ في البلاغةِ، وقد يمكنُ الوصولُ إلى المعنى الثاني الذي تُفيدُهُ الجملةُ بأكثرَ من أسلوبٍ، أو بأكثرَ من طريقٍ، ووظيفةُ المفسِّرِ هي اختيارُ الأسلوبِ أو الطريقِ الأبلغَ.

ويتضمَّنُ هذا القسمُ أربعةَ أمثلةٍ تطبيقيَّةٍ، تُبيِّنُ هذه الفكرةَ وتوضِّحُها.

وهذه الأمثلةُ الأربعةُ: مثالٌ عند الطِّيبيِّ، ومثالان عند الآلوسيِّ، ومثالٌ عند ابن عاشور، وسأذكرُ هذه الأمثلةَ مرتَّبةً على ترتيبِ وفاةِ أصحابِها:

المطلب الأول:

في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحجرات: 2 – 4].

في معنى قولِهِ تعالى: ﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ أربعةُ أوجُهٍ:

الأوَّلُ: أنَّهُ من قولِهم: امتُحِنَ فلانٌ لأمرِ كذا، وجُرِّبَ لهُ، فهو مُضطلِعٌ به غيرُ وانٍ عنهُ، والمعنى: أنَّهم صُبرٌ على التقوى، أقوياءُ على احتمالِ مشاقِّها[1].

وهذا الوجهُ من الكنايةِ التلويحيَّة[2]؛ عبَّرَ عن كونِهم مُغرِقين في التقوى – أي أنَّ التقوى تمكَّنتْ من قلوبِهم، وثبتُوا عليها، بحيثُ لا يوجدون في حالٍ ما غيرَ مُتقين[3] – كاملين فيها بقولِهِ سبحانَهُ وتعالى: ﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾؛ لأنَّ الامتحانَ والتجربةَ يوجبُ مزاولةَ الأمرِ ومعالجَتَهُ مرَّةً بعد أخرى، وذلك يوجبُ التمرُّنَ فيه[4].

والثاني: الامتحانُ موضوعٌ موضعَ المعرفةِ، لأنَّ تحقُّقَ الشَّيءِ باختبارِه، فكأنَّهُ قيلَ: عرَّفَ اللهُ قلوبَهم للتقوى، واللامُ مُتعلِّقةٌ بمحذوفٍ، كما يقولُ أحدُنا للآخرِ: أنتَ لهذا الأمرِ، أي: كائنٌ لهُ ومختصٌّ بهِ، أو: ضربَ الله قلوبَهم بِمِحَنٍ وتَكَاليفَ صَعْبَةٍ؛ لأجلِ

(1) انظر: الزمخشري محمود بن عمر، الكشاف المطبوع بأعلى حاشية فتوح الغيب، جائزة دبي للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1434هـ، ج14، ص450.

(2) عرَّفَ القزوينيُّ الكنايةَ بقولِهِ: "لفظٌ أريدَ به لازمُ معناهُ، مع جوازِ إرادةِ معناهُ حينئذٍ"، القزويني محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة. ص330. وأمَّا التلويحُ فعرَّفهُ الطِّيبيُّ بقولِهِ: "وهو ما يُشارُ به إلى المطلوبِ من بعدٍ مع خفاءٍ"، زمُّوط عبد الستار حسين مبروك، التبيان في البيان للإمام الطيبي (تحقيقاً ودراسةً)، رسالة دكتوراه في البلاغة والنقد، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، 1977م، ص146، والمرادُ بالبُعدِ في كلامه أن يُنتقلَ إلى الملزوم بوساطةِ لوازم، وسُمِّي تلويحاً لبعدِ المطلوبِ، ومثالُهُ قولُهم: كثيرُ الرَّمادِ؛ فإنَّهُ يُنتقلُ من كثرة الرمادِ إلى كثرةِ إحراقِ الحطب تحتَ القُدُورِ، ومنها إلى كثرةِ الطبائخ، ومنها إلى كثرة الأَكَلَةِ، ومنها إلى كثرة الضِّيفانِ، ومنها إلى المقصودِ، وهو كونُهُ مضيافاً، انظر: القزويني محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، ص332. وبيانُ التلويحِ في الآيةِ أنَّ الامتحانَ والتجربةَ يلزمُ منهما مزاولةُ الأمرِ ومعالجَتَهُ مرَّةً بعد أخرى، ويلزمُ من هذه المزاولةِ والمعالجةِ التمرُّنُ في الأمرِ.

(3) انظر: ابن عاشور محمد بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د/ ط، 1984 هـ، ج26، ص223.

(4) انظر: الطيبي الحسين بن عبد الله، فتوحُ الغيب، جائزة دبي للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1434هـ، ج14، ص452.

التقوى، أي: ليُعلَنَ تقواها ويُعلَمون أنهم من الأتقياء؛ لأنَّ المحن والشَّدائدِ والاصطبارِ عليها وسيلةٌ مهمةٌ لإظهارِ التَّقْوى[1].

وهذا الوجهُ مجازٌ مرسَلٌ[2]، من إطلاقِ السَّببَ على المسبَّب؛ فإنَّ الامتحانَ سببُ المعرفةِ؛ لأنَّ تحقُّقَ الشَّيءِ باختبارِه، واللامُ إمَّا صلةُ محذوفٍ، أو للتعليلِ[3].

والثالثُ: المعنى: أخلصَ اللهُ قلوبَهم للتقوى، من قولِهم: امتحنَ الذهبَ وفتنَهُ، إذا أذابَهُ، فخلَّصَ إبريزَهُ من خشبِه، ونقَّاهُ[4].

وهذا الوجهُ من التمثيلِ أو الاستعارةِ التمثيليَّةِ[5]؛ شبَّهَ خُلوصَ قلوبِهم عن شوائب الكُدوراتِ النفسانيَّةِ والشَّهوانيَّةِ بعد طولِ المجاهَداتِ، بخُلوصِ الذهب الخالِصِ الذي عُرِضَ على النَّارِ، وَتَمَّتْ تَنْقِيَتُهُ من الشَّوائِب[6].

وبعبارةٍ أخرى: استُعيرتْ هيئةُ تنقيةِ الذهبِ من الخَبَث والزَّبَدِ لهيئةِ خُلوصِ قلوبِهم عن شوائب الكُدوراتِ النفسانيَّةِ والشَّهوانيَّةِ بعد طولِ المجاهَداتِ، ولذلك كانت الاستعارةُ تمثيليَّةً؛ لأنَّها ليست استعارةَ مُفرَدٍ لمُفرَدٍ.

والرابع: أن يكونَ استعارةً من امتحانِ الذهبِ وإذابتِه؛ ليُخلَّصَ إبريزُهُ من خَبَثِه، ويُنقَّى[7]، والاستعارةُ على هذا التوجيهِ مفرَدةٌ مكنيَّةٌ، وليست تمثيليَّةً[8]؛ شُبِّهت قلوبُهم بالذهبِ الذي يُمتحنُ؛ ليُخلَّصَ إبريزُهُ من خَبَثِه، ثمَّ حُذفَ المشبَّهُ به وأُبقيَ على شيءٍ من لوازمِه، وهو الامتحانُ، على سبيلِ الاستعارةِ المكنيَّةِ.

وقد رجَّحَ الطِّيبيُّ الوجهَ الثالثَ، فقالَ: «هذا الوجهُ أنسبُ؛ لأنَّ الكلامَ واردٌ في مدحِ أولئك السَّادةِ الكرام، وفي التعريضِ بمن ليسَ على صفتِهم[9]، ومن ثَمَّ قالَ في فاصلةِ الآيةِ السَّابقةِ: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ واللاحقةِ: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾»[10].

(1) انظر: الزمخشري محمود بن عمر، الكشاف، ج14، ص450 - 451.

(2) عرَّفَ القزوينيُّ المجازَ المرسَلَ بقولِهِ: "هو ما كانتْ العلاقةُ بين ما استُعملَ فيه وما وُضعَ لهُ ملابسةً غيرَ التشبيهِ"، القزويني محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، ص277.

(3) انظر: الطيبي الحسين بن عبد الله، فتوحُ الغيب، ج14، ص452.

(4) انظر: الزمخشري محمود بن عمر، الكشاف، ج14، ص 452.

(5) وتُسمَّى أيضاً المجازَ المركَّبَ، انظر: التفتازاني مسعود بن عمر، المطوَّل على التلخيص، دار سعادة، د/ ط، 1310هـ، ص380، وهي تشبيهُ إحدى صورتين مُنتزَعتين من أمرين أو أمورٍ بالأخرى، ثمَّ تُدخلُ المشبَّهةُ في جنسِ المشبَّهِ بها مبالغةً في التشبيهِ، فتُذكرُ بلفظها من غير تغييرٍ بوجهٍ من الوجوه، انظر: القزويني محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، ص312.

(6) انظر: الطيبي الحسين بن عبد الله، فتوحُ الغيب، ج14، ص453.

(7) انظر: الآلوسيُّ محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ، ج13، ص290.

(8) تنقسمُ الاستعارةُ إلى مصرِّحةٍ، ومكنيَّةٍ: والمرادُ بالأولى أن يُحذفَ المشبَّهُ، ويُذكرَ المشبَّهُ بِهِ، والمرادُ بالثانيةِ أن يُذكرَ المشبَّهُ، ويُحذفَ المشبَّهُ به، ويُدلَّ عليه بشيءٍ من لوازمه، انظر: السكاكيُّ يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثانية، 1987م، ص373، وزمُّوط عبد الستار حسين مبروك، التبيان في البيان للإمام الطيبي (تحقيقاً ودراسةً)، ص125.

(9) عرَّفَ الهاشميُّ التعريضَ بقولِه: "هو أن يُطلقَ الكلامُ، ويشارَ به إلى معنىً آخرَ، يُفهمُ من السِّياق"، الهاشمي أحمد بن إبراهيم، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية بيروت، د/ ط.ت، ص289. ولعلَّ التعريضَ في الآيةِ مستفادٌ من دلالةِ الحصرِ الذي يفيدُهُ تعريفُ طرفيِّ الإسنادِ في قولِه تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾، كأنَّهُ قيل: أولئك الذين امتحنَ اللهُ قلوبَهم للتقوى، لا غيرُهم.

(10) الطيبي الحسين بن عبد الله، فتوحُ الغيب، ج14، ص453.

أي أنَّ هـؤلاءِ السَّـادةَ الكـرامَ إذا صـدرَ منهـم رفـعُ الصَّـوت الـذي يُخشـى بسـببِه حُبـوطُ العمـل، كانَ ذلـك عـن غـيرِ قصـدٍ منهـم، ولذلـك ختـمَ الآيـةَ بقولِه: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وأمَّـا الذيـن يُنـادُون مـن وراءِ الحُجُـراتِ، فرفـعُ الصَّـوتِ صـادرٌ عـن قصـدٍ منهـم، ولمـــَّا كان هـذا العمـلُ خـلافَ مـا يوجبُـهُ الأدبُ مـع النبـيِّ ﷺ، ختـمَ الآيـة بقولِـه: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وأمَّـا وجـهُ التعريـضِ فهـو أنَّـهُ لمـــَّا شـبَّهَ خُلوصَ قلوبِهـم عن شـوائب الكُـدوراتِ النفسـانيَّةِ والشَّـهوانيَّةِ بعـد طـولِ المجاهَـداتِ، بخُلـوصِ الذهـب الإبريـزِ الـذي عُـرِضَ عـلى النَّـارِ، ونُقِّـيَ مـن الخبَـثِ والزَّبـدِ، كانَ في ذلـك إشـعارٌ بـأنَّ الذيـن لا يغضُّـون أصواتَهـم ليسـوا كذلـك.

والحاصـلُ أنَّـهُ لا خـلافَ بـين هـذه الأوجُـهِ في كـونِ المعنـى الثـاني الـذي تُفيـدُهُ جملـةُ ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ هـو اتصافَهـم بالتقـوى عـلى أبلـغِ وجـهٍ، وإنَّـما الخـلافُ في كيفيَّـة التوصُّـلِ إلى هـذا المعنـى الثـاني، هـل يكـونُ ذلـك بالكنايـةِ أم بالتمثيـل؟ والأبلـغُ الأنسـبُ للإعجـازِ هـو التمثيـلُ؛ لأنَّ فيـه مـا لا يُوصـفُ مـن المبالغـةِ في تشـبيهِ صورةِ خلـوصِ تقواهـم من الشـوائبِ بصـورةِ تنقيـةِ الذهـبِ مـن الخبـثِ؛ فـإنَّ السَّـامعَ إذا قرأَ هـذه الآيـةَ أو سـمعَها، تصـوَّرَ هيئـةَ تنقيـةِ الذهـبِ، وهيئـةَ خلـوصِ التقـوى مـن الشـوائبِ والكُـدوراتِ، فيقـعُ المعنـى في نفسِـه أبلـغَ موقـعٍ.

ويؤخذُ من هذا المثالِ أمران:

أحدُهما: أنَّ المفسِّـرَ الـذي أُوتِيَ ذوقـاً بلاغيَّـاً لا يكتفـي باختيـارِ وجـهٍ بليـغٍ في تفسـيرِ الآيـةِ، وإنَّـما يتحـرَّى أبلـغَ الوجـوهَ وأشـدَّها توكيـداً في إفـادةِ المعنـى الثـاني الـذي يـدلُّ عليـه المعنـى الأوَّلُ الظاهـرُ؛ لأنَّ البلاغـةَ درجـاتٌ ومراتـبُ متفاوتـةٌ، ولا شـكَّ أنَّ القـرآنَ الكريـمَ قـد بلـغَ مـن المراتـب أعلاهـا، فيجـبُ حملُـهُ عـلى مـا يليـقُ بذلـك.

والثاني: أنَّ الاسـتعارةَ التمثيليَّـة أبلـغُ من الاسـتعارةِ المفـرَدةِ، ومـن الكنايـةِ أيضـاً، لاسـيَّما إن اقتضاهـا المقـامُ، وكانَـت الأنسـبَ لنكتـةٍ بلاغيَّـةٍ أخـرى، كالتعريـضِ في هـذه الآيـة.

ويؤخـذُ أيضـاً مـن قـولِ الطِّيبـيِّ: (هـذا الوجـهُ أنسـبُ) أنَّ الوجـوهَ الأخـرى ليسـت مـردودةً، بـل هـي مناسـبةٌ أيضـاً، وهـذا تأكيـدٌ لمـا ذُكـرَ سـابقاً مـن أنَّ الترجيـحَ في معنـى المعنـى لا يكـونُ بـين المقبـولِ والمـردودِ، وإنَّـما يكـونُ بـين البليـغِ والأبلـغِ، والمناسـبِ والأنسبِ. .

المطلب الثاني:

في تفسـيرِ قولِـه تعـالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديـد: 11].

في هـذه الآيـةِ نـدبٌ بليـغٌ مـن الله تعـالى إلى الإنفـاقِ في سـبيلِه، والقـرضُ الحسـنُ هـو الإنفـاقُ بالإخـلاصِ وتحـرِّي أكـرمِ المـالِ وأفضـلِ الجهـاتِ[1].

ولاشـكَّ أنَّ ظاهـرَ قولِـه تعـالى: ﴿مِّمَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ غيرُ مرادٍ؛ لأنَّ اللهَ سبحانهُ وتعـالى هـو الغنـيُّ الحميـدُ، فـلا بـدَّ مـن حمـلِ الـكلامِ عـلى المجـازِ.

وبـيَّن الآلـوسيُّ ذلـك بعـدَ أن ذكـرَ الاختـلافِ في تفسـيرِ القـرضِ الحسـنِ، فأوضـح أنَّ الـكلامُ إمَّـا عـلى التجـوُّزِ في الفعـلِ، عـلى سـبيل **الاسـتعارة التَّبَعِيَّـة التَّصْرِيحِيَّـة**[2]، أو التجـوُّزِ في مجمـوعِ الجُملـةِ، عـلى

(1) انظر: الآلـوسيُّ محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج14، ص174.

(2) تنقسـمُ الاسـتعارةُ باعتبـارِ اللفـظِ المسـتعارِ إلى تقسـيماتٍ مختلفـةٍ، منهـا: أنَّهـا إمَّـا أصليـةٌ، أو تبعيـةٌ؛ فـإن كانَ المسـتعارُ اسـمَ جنـسٍ فأصليَّـةٌ، كاسـتعارةِ لفـظِ الأسـدِ للرجـلِ الشُـجاعِ، وإلَّا فتبعيـةٌ، كالصِّفـاتِ، والحـروفِ، والأفعـالِ

سبيل **الاسْتِعَارَةً التمثيليَّةً**، باستعارة الهيئة للهيئةِ، وهو الأبلغُ، أي: من ذا الذي يُنفقُ مالَهُ في سبيلِ الله تعالى مُخلِصاً مُتحرِّياً أكرمَهُ وأفضلَ الجهاتِ؛ رجاءَ أن يُعوِّضَهُ سبحانَهُ بدلَهُ، كمن يُقرضُهُ، فيضاعفُهُ لهُ، فيعطيه أجرَهُ على إنفاقِه مضاعَفاً أضعافاً كثيرةً من فضلِه[1].

أمَّا **وجهُ التبعيَّةِ**، فهو أنَّ القرضَ مستعارٌ للإنفاقِ، ثمَّ سرى ذلك إلى الفعلِ (يُقْرِضُ)، فكانت الاستعارةُ تبعيَّةً؛ لأنَّ المستعارَ لهُ هو الفعلُ، وليس الاسمَ.

وأمَّا **وجهُ التمثيليَّةِ**، فهو أنَّهُ استعارَ الهيئةَ للهيئةِ، فقد استعارَ هيئةَ مَنْ يُقرِضُ قرضاً، ثمَّ يُضاعَفُ له هذا القرضُ من المقرَضِ، لمن يُنفِقُ مالَهُ مخلصاً لله راجياً التعويضَ منهُ، فيضاعِفُ الله سبحانهُ مالَهُ، ويضاعفُ لهُ الأجرَ والثوابَ.

وإنَّما **رجَّحَ الآلوسيُّ الاستعارةَ التمثيليَّةَ** على الاستعارةِ المفرَدةِ الواقعةِ في الفعلِ؛ لأنَّ استعارةَ الهيئةِ للهيئةِ أوقعُ في النفسِ؛ لما فيها من تصوُّرِ الهيئاتِ، وفي ذلك تقريرٌ أبلغُ للمعنى في النفسِ.

وخلاصةُ المثالِ أنَّهُ لا خلافَ في كونِ المعنى الثاني المقصودِ بقولِه تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ﴾ هو الحثَّ على الإنفاقِ على أبلغِ وجهٍ وآكدِه، وبيانَ حُسنِ ثوابِ المنفِقِ في الدنيا والآخرةِ، وإنَّما الخلافُ في كيفيَّةِ إفادةِ هذا المعنى الثاني، هل يكونُ ذلك بطريقِ الاستعارةِ التصريحيَّةِ التبعيَّةِ، أم بطريقِ الاستعارةِ التمثيليَّةِ؟ والأليقُ ببلاغةِ القرآنِ الحملُ على التمثيليَّةِ؛ لما تقدَّمَ، وقولُ الآلوسيِّ في معرضِ ترجيحِ الوجهِ الثاني: (وهو الأبلغُ) يدلُّ على أنَّ الوجهَ الأوَّلَ بليغٌ أيضاً، وليسَ مردوداً.

المطلب الثالث:

في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك:1 – 2].

يرى الآلوسيُّ أن معنى (لِيَبۡلُوَكُمۡ) أي: ليعاملَكم معاملةَ المختَبِرِ لكم... والبلاءُ مأخوذٌ من الاختِبَارِ، ولأنَّهُ يقتضي عدمَ العلمِ بما اختبرَهُ – وهو غيرُ صحيحٍ في حقِّه عزَّ وجلَّ – حُمِلَ الكلامُ على ما ذُكِرَ على سبيلِ الاستعارةِ التَّمْثِيلِيَّة، وهي أبلغُ من أنْ تكونَ استعارةً تبعيَّةً[2].

أي أنَّهُ لَمَّا تعذَّرَ حملُ الكلامِ على ظاهرِه، تعيَّنَ الحملُ على المجازِ، فيكونُ معنى(لِيَبۡلُوَكُمۡ): يعاملُكم معاملةَ من يختبرُ، وذلك إمَّا على سبيلِ **الاستعارةِ التمثيليَّةِ**؛ لأنَّها استعارةُ هيئةٍ لهيئةٍ، شبَّهَ معاملتَهُ سبحانَهُ لعباده، وإرادتَهُ لإظهارِ أعمالِهم التي يعلمُها بعلمِه الأزليِّ؛ لمجازاتهم عليها، بمعاملةِ المختبِرِ لمن يختبرُهُ، وإمَّا على سبيلِ **الاستعارةِ التبعيَّةِ**، أي: المفرَدةِ التصريحيَّةِ التبعيَّةِ، استعارَ الاختبارَ للعلمِ أو لإرادةِ إظهارِ الأعمالِ، ثمَّ سرى ذلك إلى الفعلِ، فكانت تبعيَّةً؛ لأنَّها واقعةٌ في الفعلِ، وهو (لِيَبۡلُوَكُمۡ)، لا في الاسمِ.

وما يُشتقُّ منها كاسمِ الفاعلِ والمفعولِ والصِّفةِ المشبَّهة...الخ، انظر: القزويني محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، ص304، وزمُّوط عبد الستار حسين مبروك، التبيان في البيان للإمام الطيبي (تحقيقاً ودراسةً)، ص128، والتفتازاني مسعود بن عمر، المطوَّل على التلخيص، ص371 – 372، وبيانُ الاستعارة في الآيةِ أنَّ القرضَ استُعيرَ للإنفاقِ، وسرى ذلك إلى الفعلِ، فكانت الاستعارةُ تبعيَّةً؛ لأنَّها وقعتْ في الفعلِ (يُقْرِضُ).

(1) انظر: الآلوسيُّ محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج14، ص174.

(2) انظر: الآلوسيُّ محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج15، ص6.

والأبلغُ عند الآلوسيِّ هو التمثيليَّةُ؛ بدليلِ قولِه: "واعتبارُ الاستعارةِ التبعيَّةِ فيه دونَها في البلاغةِ"، وإنَّما كانت أبلغَ؛ لما فيها من تصوُّرِ هيئةِ المستعارِ وهيئةِ المستعارِ لهُ، وفي ذلك تقريرٌ بليغٌ للمعنى في نفسِ السَّامعِ، لاسيَّما والمقامُ مقامُ حثٍّ على الإنفاقِ في سبيلِ الله، وقولُهُ: (دونها في البلاغةِ) دليلٌ على أنَّ الوجهَ الأوَّلَ بليغٌ أيضاً.

المطلب الرابع:

في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة:5].

اختُلفَ في بيانِ الاستعارةِ في هذه الآيةِ:

فقيلَ: الإتيانُ بحرفِ الاستعلاءِ تمثيلٌ لحالِهم؛ بأن شُبِّهت هيئةُ تمكُّنِهم من الهدى وثباتِهم عليه وسيرِهم في طريقِ الخيراتِ، بهيئةِ الراكبِ في الاعتلاءِ على المركوبِ والتمكُّنِ من تصريفِه، فشُبِّهت حالتُهم المنتزَعةُ من مُتعدِّدٍ بتلك الحالةِ المنتزَعةِ من مُتعدِّدٍ تشبيهاً ضمنيَّاً، دلَّ عليه حرفُ الاستعلاءِ؛ لأنَّ الاستعلاءَ تمكُّنُ شيءٍ من أقوى أنواعِ شيءٍ، فتكونُ كلمةُ (على) بعضَ المركَّبِ الدالِّ على الهيئةِ المشبَّهِ بها على وجهِ الإيجازِ، وأصلُهُ: أولئك على مطيَّةِ الهدى، فالاستعارةُ تمثيليَّةٌ تصريحيَّةٌ، إلا أنَّ المصرَّحَ به بعضُ المركَّبِ الدالِّ لا جميعُهُ[1].

وقيل: الاستعارةُ في الآيةِ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ في الحرفِ؛ شُبِّهَ التمسُّكُ بالهدى عند المتقين، بتمكُّنِ الراكبِ من الدابَّةِ، وسرى التشبيهُ إلى معنى الحرفِ، وهو (على)[2].

وقيل: استعارةٌ مكنيَّةٌ مُفرَدةٌ؛ شُبِّهَ الهدى بمركوبٍ، وحرفُ الاستعلاءِ قرينةٌ على ذلك؛ لأنَّهُ من لوازمِ المركوبِ[3].

والحاصلُ أنَّهُ لا نزاعَ بين الجميع أنَّ في الآيةِ تشبيهَ أشياءَ بأشياءَ على الجُمْلةِ حاصلةٍ من ثبوتِ الهدى للمتقين، ومن ثبوتِ الاستعلاء على المركوبِ، ولكنَّ الاختلافَ في تعيينِ الطريقةِ الحاصلِ بها هذا التشبيهُ، فجعلَها بعضُهم طريقةَ التمثيليَّةِ، بأن يكونَ تشبيهُ تلكَ الأشياءِ حاصلاً بالانتزاعِ والتركيبِ لهيئةٍ، وجعلَها بعضُهم طريقةَ التبعيَّةِ، بأن يكونَ المشبَّهُ والمشبَّهُ به فردين من تلك الأشياءِ، ويحصلُ العلمُ ببقيَّةِ تلكَ الأشياءِ بواسطةِ تقييدِ المُفرَدين[4].

ورجَّح ابنُ عاشور أن تكونَ الاستعارةُ تمثيليَّةً؛ لكونِها أبلغَ، فبَيَّنَ بعد ذكرِ الاختلافِ السَّابق وتحريرِ محلِّ النزاعِ أنَّ أهْلَ عِلْمِ البَيَان أشدُّ حرصاً على اعتبار تشبيهِ الهيئةِ، وإذا أَمْكَن اعتِبَارُه فإنَّهُم لا يَعْدُلُون عنه إلى المفرَّد إذا سمح المَقَام، وبناءً على ذلكَ فإن التشبيهِ التمثيليِّ ينال الحظَ الأعظم عندهم، لأن التشبيه من أهمِّ أغراضِ أهل البلاغةِ، والتمثيلَ أخصُّ أنواعِ التشبيهِ؛ لأنَّهُ تشبيهُ هيئةٍ بهيئةٍ، فهو أوقعُ في النفوسِ وأجلى للمعاني، ومن هنا فإن اعتبار الاستعارة التمثيليَّةِ في الآيةِ أرجحَ.[5].

ويُؤخذُ من كلامِ ابنِ عاشور قاعدةٌ مهمَّةٌ هي لبُّ الكلامِ في الترجيحِ بالبلاغةِ في معنى المعنى، وهي أنَّهُ إذا سمحَ المَقامُ باعتبارين، كالتمثيلِ والإفرادِ، أو كالتمثيلِ والكنايةِ، فإنَّ الأولى للمفسِّرِ

(1) انظر: ابن عاشور محمد بن محمد، التحرير والتنوير، ج1، ص242.

(2) انظر: الجرجاني علي بن محمد، حاشية على تفسير الكشاف، مخطوط، لوحة81.

(3) انظر: الجرجاني علي بن محمد، حاشية على المطول، مطبوع في هامش المطول، دار سعادة، د/ ط، 1310هـ، ص394.

(4) انظر: ابن عاشور محمد بن محمد، التحرير والتنوير، ج1، ص243.

(5) انظر: المرجع السابق، ج1، ص244.

أن يختارَ ما فيه خُصوصيَّاتٌ بلاغيَّةٌ أكثرُ، وهذه الخُصوصيَّاتُ راجعةٌ إلى قوَّةِ إثباتِ المعنى الثاني، وتقريرِه في نفسِ السَّامعِ.

ويؤخذُ من كلامِه أيضاً أنَّ الوجوهَ الأخرى بليغةٌ أيضاً؛ لأنَّ قولَهُ: (لأنها أوضحُ وأبلغُ وأشهرُ) يعني أنَّ الوجوهَ الأخرى بليغةٌ وواضحةٌ ومشهورةٌ.

وخلاصةُ المثالِ أنَّهُ لا خلافَ في أنَّ المقصودَ بيانُ اتصافِ المتقين بالهدى على أبلغِ وجهٍ وآكَدِه، وإنَّما الخلافُ في كيفيَّةِ إفادةِ هذا المعنى، والأبلغُ جعلُ ذلك بطريقِ الاستعارةِ التمثيليَّةِ.

هذا، وقد بقيَ أن أُشيرَ في خاتمةِ الكلامِ عن الأمثلةِ التطبيقيَّةِ إلى أنَّ الترجيحَ بالبلاغةِ في معنى المعنى لم ينفردْ به الطِّيبيُّ والآلوسيُّ وابنُ عاشور، بل كانت لهُ أمثلةٌ أيضاً عند كثيرٍ من المفسِّرين، ولكنِّي اقتصرتُ على ما ذُكِرَ؛ لضيقِ مجالِ البحث؛ ولأنَّ المقصودَ من القسمِ التطبيقيِّ هو التمثيلُ لفكرةِ البحث، لا الحصرُ، ولا الاستقصاءُ.

الخاتمة والنتائج:

تبيَّن من خلال البحث النتائجُ الآتية:

1. مدارُ المعاني الثواني على مباحثِ علمِ البيانِ، وهي: الكنايةُ، والاستعارةُ، والتمثيلُ، ولا تكونُ هذه المعاني في مباحثِ علمِ المعاني، ولا في مباحثِ علمِ البديعِ.

2. إنَّ المفسِّرَ الذي أُوتيَ ذوقاً بلاغيَّاً لا يكتفي باختيارِ وجهٍ بليغٍ في تفسيرِ الآيةِ، وإنَّما يتحرَّى أبلغَ الوجوهَ وأشدَّها توكيداً في إفادةِ المعنى الثاني الذي يدلُّ عليه المعنى الأوَّلُ الظاهرُ، كما تبيَّنَ في الأمثلةِ التي اشتملَ عليها هذا البحثُ.

3. الاستعارةُ التمثيليَّةُ أبلغُ من الاستعارةِ المفرَدةِ، ومن الكنايةِ أيضاً، لاسيَّما إن كانت الأنسبَ للمقامِ ولنكتةٍ بلاغيَّةٍ أخرى؛ فقد اشتملَ البحثُ على أربعةِ أمثلةٍ، وكانت الاستعارةُ التمثيليَّةُ هي الأرجحَ والأبلغَ في كُلِّ واحدٍ من هذه الأمثلةِ.

4. الترجيحُ بالبلاغةِ في المعاني الثواني يكونُ بين الوجهِ البليغِ والوجهِ الأبلغِ، لا بين الوجهِ المقبولِ والوجهِ المردودِ.

المصادر

- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني محمد بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية ببيروت د/ط.ت.
- البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي محمد بن عبد الله بن بهادر، دار الكتبي، الطبعة الأولى، 1994 م.
- التبيان في البيان للإمام الطيبي (تحقيقاً ودراسةً)، رسالة دكتوراه في البلاغة والنقد، زمُّوط عبد الستار حسين مبروك، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، 1977 م.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد بن محمد، الدار التونسية للنشر، تونس، د/ط، 1984 هـ.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي أحمد بن إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، د/ط.ت.
- حاشية على المطول، الجرجاني علي بن محمد، مطبوع في هامش المطول، دار سعادة، د/ط، 1310 هـ.
- دلائل الإعجاز، الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د/ط.ت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسيُّ محمود بن عبد الله، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.
- شرح تلخيص المفتاح، التفتازاني مسعود بن عمر، دار السرور ببيروت، د/ط.ت.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلويُّ يحيى بن حمزة، المكتبة العصرية ببيروت، الطبعة الأولى، 1423 هـ.

- فتوحُ الغيب، الطيبي الحسين بن عبد الله، جائزة دبي للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1434 هـ.
- القرينة الحالية وأثرها في تبيُّن الحكم الشرعي، الكيلاني عبد الرحمن، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد الأول، المجلد الثالث، ط 1، 2007 .
- قواطع الأدلة في الأصول، السمعاني منصور بن محمد، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، 1999 م.
- قواعد الترجيح عند المفسِّرين دراسة نظرية تطبيقية، الحربي حسين بن علي، دار القاسم بالرياضِ، الطبعة الأولى، 1996 م.
- الكشاف، الزمخشري محمود بن عمر، مطبوع بأعلى حاشية فتوح الغيب، جائزة دبي للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1434 هـ.
- المحصول، الرازي محمد بن عمر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1997 م.
- المستصفى، الغزالي محمد بن محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1989 م.
- المطوَّل على التلخيص، التفتازاني مسعود بن عمر، دار سعادة، د/ط، 1310 هـ.
- مفتاح العلوم، السكاكيُّ يوسف بن أبي بكر، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثانية، 1987 م.